سلطان الغضب

آلمني سؤال وجهته امرأة إلى اللجنة الدائمة للإفتاء تقول فيه السائلة: «كان لي طفلٌ عمره ثلاث سنوات، وقد كان كغيره من الأطفال، يميل إلى العبث والشغب، وفي أحد الأيام، وكان الوقت ظهراً طلب من أمه الطعام، فأطعمته حتى شبع، وتركت بين يديه بعض الخبز، بناءً على رغبته، وذهبت لأعمالها المنزلية، وبعد ساعة تقريباً عادت فوجدت ولدها المذكور قد فتت الخبز على الأرض والفراش، فغضبت منه ودعت عليه قائلة: أرجو من الله أن تموت، وأن لا تأكل غيره، فهرب الولد إلى منزل جدته، ونظفت الأم المكان، وعادت إلى أعمالها المنزلية، وبعد قليلٍ مات الولد فعلاً، والآن أمه ضميرُها تعبان، ومريضة، وضميرها يؤنبها على ما حصل، وتريد من فضيلتكم أن تفتوها على ما قالته من كلمات بحق ولدها . . .». انتهى سؤالها.

وكان من جواب اللجنة الدائمة: «على هذه المرأة أن تكثر من الاستغفار، ولا تعود لمثل ذلك، وليس عليها دية ولا كفارة»[(١)].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢٤/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

أجيبت دعوة هذه الأم بعد دعائها المستعجل على ابنها؛ فأضحتْ تلوم نفسها أشد اللوم على فعلتها هاته، ولكن هيهات؛ فالبكاء على اللبن المراق لا ينفع، عوضها الله خيراً.

فبالله عليكم، ما الذي جر هذه المرأة المسكينة إلى هذه الفعلة المشينة مع ولدها؟

إنه الغضب، وما أدراكم ما الغضب؟

جمرة توقد في جوف الإنسان، تحمر منه العينان، وينتفخ الودجان، وتخرج به النفوس عن طبيعتها؛ فبعد أن كان الرجل رزيناً محموداً؛ إذ به ينقلب ثائراً منكوداً، يكاد يتميز من الغيظ.

فكم جلب من أمراض؛ وكم فرق من أصحاب، وكم قطع من صلات، وكم أذكى من عداوات، وكم ولَّد من شحناء، وأسال من دماء، وكم وقع به من طلاق، وسبَّب من فراق، وتأتي الرجلَ الغضبةُ فيصرم ابنَه الذي هو حُشاشة فؤاده، وثمرة قلبه بالدعاء المرِّ المهلك، فتحل القارعة بابنه، وتنزل المصيبة بأهله، ويكون هذا الوالدُ الداعي أوَّلَ المنكوبين النادمين؛ فلا يزال يقرع سنه، ويعض أصابعه، ويتجرع ويلات التعجل، وغصص الندم، كما في حال هذه المرأة السائلة.

وقد جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله علمني شيئاً، ولا تكثر علي لعلي أعيه، قال: «**لا تغضب**»، فردد ذلك

مراراً كل ذلك يقول: «**لا تغضب**»[١].

وفي حديث آخر أن الرجل لـمَّا أوصاه النبي ﷺ بعدم الغضب قال: «ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله»[٢].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: ماذا يباعدني من غضب الله ﷻ؟ قال: «**لا تغضب**»[٣].

وقد قيل لابن المبارك: «اجمع لنا حُسن الخُلق في كلمة، قال: ترك الغضب»[٤].

وإن أحسن طريق للتعامل مع الغضب هو التأسي بحال النبي ﷺ عند الغضب؛ فقد كان النبي ﷺ لا يغضب لنفسه، تقول عائشة رضي الله عنها: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها»[٥].

وإليكم مثالاً عمليّاً واحداً في ذلك يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه فيقول: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجذبه جذبة شديدة، رجع بها النبي ﷺ في نحر الأعرابي، وانشق البُرد، ونظرت

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣١٧١).

(٣) أخرجه أحمد (٦٦٣٥).

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧).

إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثَّرت به حاشية الرداء من شدة جذبته[١].

طيشٌ وجفاءٌ فعله هذا الأعرابي مع سيد ولد آدم ﷺ، ثم زاد الطين بِلَّة، فأساء في القول كما أساء في الفعل فقال: «يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك»، ولم يقل: يا رسول الله، وإنما قال: يا محمد؛ هكذا يناديه باسمه مجرداً؛ وكأنما ينادي أحد الغلمان!

ثم قال: «مُر لي من مال الله الذي عندك» هكذا يخاطبه بصيغة الأمر الجازم؛ وكأنما يفرض على الرسول ﷺ أمراً عسكريّاً!

فما ترون النبي ﷺ فاعلاً في مثل هذه الأحوال التي تستثار فيها الحفيظة، وتستفز فيها النفوس؟! ما زاد إلا أن التفت إلى هذا الأعرابي فضحك. وهل انتهى الموقف؟ لا بل أمر له بعطاء؛ فصلَّى الله وسلَّم على هذا النبي الحليم الكريم، وما أجمل ما قال أحمد شوقي:

يا من له الأخلاق ما تهوى العُلا ... مِنها وَما يَتَعَشَّق الكُبَراءُ

زانتك في الخُلق العظيم شمائلٌ ... يُغرى بهنَّ ويُولع الكرماءُ

فإذا غضبتَ فإنما هي غضبةٌ ... للحق لا ضَغَنٌ ولا شحناءُ[٢]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) ديوان أحمد شوقي (ص٤٢).

ومما يوصى به عند الغضب السكوت، وفيما يروى عن رسول الله ﷺ قوله: «**إذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت، وإذا غضبت فاسكت**»(١).

وهو من أفضل ما يعالج به الغضب؛ إذ المتكلم أثناء الغضب مضطرب المزاج، طائش العقل، غير مستقر النَّفْس؛ فإذا سكنت نفسه، وذهب غضبه؛ وثاب إلى رشده أخذ يقلِّب كفيه ندماً على زوجته التي طلقها، ودعوته التي أطلقها، وقريبه الذي زجره وعنَّفه، وصديقه الذي هزَّأه واتهمه؛ ولذا نهى رسول الله ﷺ عن الدعاء عند الغضب فقال: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءٌ، فيستجيب لكم**»(٢).

وكذلك يشرع عند الغضب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فقد استبَّ رجلان عند النبي ﷺ فاحمرَّ وجه أحدهما، وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد**»(٣).

وهناك دعوة نبوية جامعة يحسن بالمسلم أن تكون حاضرة في دعائه، حتى يجد ثمرتها وقت الغضب، وهي: «**وأسألك**

(١) أخرجه أحمد (٢١٣٦) وإسناده ضعيف.
(٢) أخرجه مسلم (٣٠٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٢٦١٠).

كلمة الحق في الرضا والغضب»[(١)].

وقد ورد في فضل من يملك غضبه قوله ﷺ: «**ما تجرَّع عبد جُرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله عز وجل**»[(٢)].

نعم قد تملك الحجة عند الغضب، فتؤثر عدم الإفصاح بها؛ احتراماً لوالد أو قريب أو صديق، وترجيحاً للمصلحة، كما فعل يوسف عليه السلام لما اتهمه إخوته بالسرقة لم يزد على أن قال في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف: ٧٧]، ولم يعلنها لهم، وهذا دليل شهامة عظيمة، ومروءة كريمة.

والخلاصة أن من أراد الراحة في نفسه، والصحة في جسمه فليوطِّن نفسه على التحلُّم وعدم الغضب؛ أما من يغضب عند أدنى إثارة، ويستفزه شطر عبارة؛ فيوشك أن يهلك نفسه، والعلم بالتعلم، والحِلم بالتحلُّم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقه[(٣)].

(١) أخرجها النسائي (١٣٠٥).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٨٩) وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ٢٣٣).
(٣) وقد ورد فيما ينبغي أن يفعل عند الغضب جلوس الغضبان إن كان قائماً؛ فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع، وكذا جاء الأمر بالوضوء عند الغضب، وهي أحاديث لا تخلو من ضعف.